تفسير سورة فصلت كاملة

سورة فصلت

رامي حنفي محمود

تفسير سورة فصلت كاملة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

شبكة الألوكة

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سلسلة كيف نفهم القرآن؟ 1

1. الربع الأول من سورة فصلت

– من الآية 1 إلى الآية 4: (حم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم)، هذا القرآنُ (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) وهو الله تعالى صاحب الرحمة العامة (التي وَسِعَتْ جميع خلقه)، (الرَّحِيمِ) أي صاحب الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين, (وقد نَزَّل سبحانه القرآن، على نَبيّه محمد عليه الصلاة والسلام)، وهو (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ): يعني بُيِّنَتْ آياته للناس – بَياناً في أعلى أنواع البَيان – وذلك بتوضيح الحلال والحرام، والقصص والمواعظ، والآداب والأخلاق، والعقائد والبراهين، بما لا مَثيل له في أيّ كتابٍ سابق، وقد جعله الله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا): أي بلُغة عربية واضحة المعنى، في غاية الفصاحة والبلاغة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي يعلمون اللسان العربي، وقد نَزَلَ القرآنُ ليكون (بَشِيرًا) بالثواب لمن آمن به وعمل بهُداه (وَنَذِيرًا) بالعقاب لمن كَفَرَ به واتَّبعَ هواه، (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ): أي أعرض عنه أكثر الناس، فلم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه (رغم وضوحه وقوة أدلته)، وذلك بسبب الكِبر والعناد، والانقياد وراء الهوى والشهوات، (فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) أي لا يسمعونه سماع تدبر وانتفاع.

– الآية 5: (وَقَالُوا) أي قال هؤلاء المُعرِضون للنبي محمد: (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ): يعني قلوبنا في أغطية مانعة من فَهم ما تدعونا إليه، (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) أي ثِقَل في السمع فلا نقدر على سماع ما تقول، (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) أي ساتر يَحجبنا عن إجابة دَعْوتك، (فَاعْمَلْ) بما يدعو إليك دينك، فـ (إِنَّنَا عَامِلُونَ) بما يدعو إليه ديننا.

– الآية 6، والآية 7: (قُلْ) لهم أيها الرسول: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) والفرق بيني وبينكم أنني (يُوحَى إِلَيَّ) – مِن ربي – (أَنَّمَا إِلَهُكُمْ) أي معبودكم الحق هو (إِلَهٌ وَاحِدٌ) وهو اللهُ الخالق الرازق، المُستَحِقّ وحده للعبادة، (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) أي اسلكوا الطريق المُوصل إليه (وَاسْتَغْفِرُوهُ) نادمينَ على ما فعلتم، مُعترفينَ بخطئكم، (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) الذين عبدوا من دون الله أصناماً لا تنفع ولا تضر، وهم (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) لمُستَحِقّيها، (فلا إخلاص منهم للخالق ولا نفع فيهم للمخلوقين) (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ) – وما فيها من البعث والحساب والجزاء – (هُمْ كَافِرُونَ).

– الآية 8: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) باللهِ ورسوله، وبكل ما أخبر به من الغيب (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) – بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه – (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ): أي لهم ثوابٌ عظيم غير مقطوع ولا ممنوع.

1وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير الميَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي "، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو التفسير.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

- من الآية 9 إلى الآية 12: (قُلْ) أيها الرسول لهؤلاء المُشركين - مُوبخًا لهم ومُتعجبًا مِن فِعلهم -: (أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) وهو اللهُ سبحانه وتعالى (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا): أي تجعلونَ له شركاء تعبدونهم معه؟!، (ذَلِكَ) الخالق هو (رَبُّ الْعَالَمِينَ) أي مالك الخلائق أجمعين ومُدَبِّر أمورهم، فكيف تعبدونَ معه غيره؟!، (وَجَعَلَ) سبحانه (فِيهَا) أي في الأرض (رَوَاسِيَ) أي جبالاً راسية لتُثَبِّت الأرضَ (مِنْ فَوْقِهَا) (وَبَارَكَ فِيهَا): أي بارَكَ سبحانه في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها، (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ): يعني قدَّر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يُصلِحهم من المعاش في أربعة أيام: (يومان خَلَقَ فيهما الأرض، ويومان جعل فيها جبالاً وقدَّر فيها أقواتها)، وقد كانت هذه الأيام الأربعة (سَوَاءً) أي كاملة (لِلسَّائِلِينَ) أي: لمن أراد السؤال عنها، (إنّ ذلك يدل على تدبير الله تعالى وقدرته، وعنايته بمصالح خلقه وسِعَة رحمته بهم، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبَد ولا يُعبَد غيره).

(ثُمَّ) بعد أنْ خَلَقَ سبحانه الأرض: (اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ): أي قَصَدَ سبحانه إلى السماء (وقد كانت دخانًا مِن قبلُ) (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ): (ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا): أي انقادا لأمري مُختارَتَين أو مُجبَرَتين، فـ (قَالَتَا): (أَتَيْنَا طَائِعِينَ) أي خاضعينَ لك (ليس لنا إرادة تخالف إرادتك) (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) أي فرَغَ سبحانه مِن خَلْق السماوات السبع في يومين، (فتَمَّ بذلك خَلْق السماوات والأرض في ستة أيام، مع قدرته سبحانه على خَلْقهما في لحظة واحدة بكلمة "كُن"، ولكنه سبحانه أرادَ ذلك لحِكَمٍ عالية، منها تعليم عباده الصبر والتمهل في الأمور، والتدرج في إيجاد الأشياء شيئاً فشيئاً)، (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا): يعني أمَرَ في كل سماءٍ ما أراده أن يكون فيها من المخلوقات والطاعات (إذ هو سبحانه يأمر الشيء أن يكون، فيكون)، (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) (وهي السماء القريبة من الأرض)، فقد زيّنها الله للناظرينَ إليها (بِمَصَابِيحَ) (وهي النجوم المضيئة)، فجَعَلَها سبحانه زينةً للسماء (وَحِفْظًا) لها من الشياطين (إذ كانوا يُرجَمونَ بالشهب - التي هي من جملة النجوم - إذا حاولوا الوصول إلى السماء ليعلموا شيئاً من الغيب الذي تتحدث به الملائكة)، (ذَلِكَ) الخلق البديع هو (تَقْدِيرُ) أي إيجاد وتنظيم (الْعَزِيزِ) الذي لا يَمنعه شيءٌ مِمّا أراده في مُلكه، (الْعَلِيمِ) بكل خلقه.

- الآية 13، والآية 14: (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإيمان - بعدما تبَيَّنَ لهم أوصاف القرآن وبلاغته، وعظمة الله وقدرته - (فَقُلْ) لهم: (أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً) يعني أنذرتكم عذابًا يَستأصلكم (مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (حين كفروا بربهم وعصوا رُسُله) (إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ) وهم هود وصالح عليهما السلام، فجاؤوهم (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) (والمقصود أنهم جاؤوا متتالينَ يَتْبع بعضهم بعضًا)، قائلينَ لهم (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ)، فـ (قَالُوا) لرُسُلهم: (لَوْ شَاءَ رَبُّنَا) ألاَّ نُشرك به (لَأَنْزَلَ) إلينا (مَلَائِكَةً) لتأمرنا بذلك، ولم يُرسلكم وأنتم بشرٌ مثلنا، (فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ).

- الآية 15، والآية 16: (فَأَمَّا عَادٌ) وهم قوم هود: (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ): أي تعاظَموا في الأرض التي خلقها الله لهم، وتكبروا على العباد، وعن اتِّباع هود عليه السلام (بِغَيْرِ الْحَقِّ) إذ لا حقّ لهم في ذلك الاستكبار، لأنّ الله لم يأذن لهم به، وإنما الكبرياء لله وحده، (وَقَالُوا) في غرور: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)؟ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)؟! (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) رغم وضوح الحُجَج على قدرة الله تعالى واستحقاقه وحده للعبادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) أي ريحًا شديدة البرودة، عالية الصوت (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ): يعني في أيامٍ مشؤوماتٍ عليهم (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ) أي عذاب الذل والهوان (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) أي أشد ذلا وهوانًا، (وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) بمنع العذاب عنهم أو تخفيفه.

- الآية 17: (وَأَمَّا ثَمُودُ) وهم قوم صالح: (فَهَدَيْنَاهُمْ): أي بَيَّنَّا لهم سبيل الحق وطريق الرُشد (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) أي أحبوا العمى وفضَّلوه (عَلَى الْهُدَى) (فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ): يعني أهلكتهم صاعقة العذاب المُهين؛ جزاءً (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الكفر والمعاصي.

- الآية 18: (وَنَجَّيْنَا) - من العذاب الذي نزل بعاد وثمود -: (الَّذِينَ آمَنُوا) برُسُلهم (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) أي كانوا يتقون عذاب ربهم بالتوحيد والعمل الصالح.

- من الآية 19 إلى الآية 23: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ) أي اذكر أيها الرسول يوم يُجمَع (أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ) (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي يُحبَس أوّلهم ليَلحق بهم آخرهم، فيُساقوا جميعاً إلى النار، (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا) يعني إذا وصلوا إلى النار وأنكَروا جرائمهم، وقالوا: (لا نقبل شاهداً علينا من غير أنفسنا)، فعندئذٍ (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ) - مُعاتِبين -: (لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا)؟!، فـ (قَالُوا) أي قالت لهم جلودهم: (أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (وَهُوَ) الذي (خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئًا، ثم أماتكم (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد موتكم، وها أنتم قد رجعتم إليه، فالقادر على هذا كله: قادرٌ على أن يُنطِقنا وقتما يريد، (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ): يعني إنكم - عند ارتكابكم المعاصي - لم تكونوا تَستَخْفون فتتركوا المعاصي خوفًا من (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) يوم القيامة، (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ) عند ارتكابكم الفواحش (أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) من المعاصي، (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) يعني: وهذا الظن السيّئ الذي ظننتموه بربكم هو الذي أهلككم وأدخلكم النار (لأنه جرَّأكم على ما يُغضب ربكم) (فَأَصْبَحْتُمْ) اليوم (مِنَ الْخَاسِرِينَ) الذين خسروا الدنيا والآخرة.

- الآية 24: (فَإِنْ يَصْبِرُوا) على العذاب: (فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) يعني: فالنار مأواهم، ولن يفيدهم الصبر شيئاً، (وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا): أي يَطلبوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليستغفروا ربهم ويعملوا بطاعته: (فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) أي لا يُجابوا إلى ذلك، ولا تُقبل لهم أعذار.

- الآية 25: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ): أي جعلنا لهؤلاء الجاحدين قرناء فاسدين من شياطين الإنس والجن في الدنيا (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أي حسَّنوا لهم قبائح أعمالهم في الدنيا، ودعَوهم إلى لذاتها وشهواتها المُحَرّمة، (وَمَا خَلْفَهُمْ) يعني: وكذلك زَيَّنوا لهم ما خَلْفهم من أمور الآخرة، فأنسوهم ذِكرها، ودعَوهم إلى التكذيب بها (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يعني: وبذلك استحقوا دخول النار (فِي أُمَمٍ) أي في جملة أمم (قَدْ خَلَتْ) أي مضت (مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ) كَفَرة (الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) (إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) إذ خسروا أعمالهم في الدنيا، وخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

- الآية 26، والآية 27، والآية 28: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فيما بينهم: (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ) ولا تنقادوا لأوامره، (وَالْغَوْا فِيهِ): أي ارفعوا أصواتكم بالصياح والصفير والتشويش على محمد إذا قرأ القرآن (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ): أي لَعَلّكم تغلبونه، فيترك القراءة وننتصر عليه، ثم قال تعالى - مُهَدّداً لهم -: (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا) (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ): أي سوف نجزيهم على أعمالهم بمثل جزاء أقبح عمل كانوا يعملونه وهو الشرك (الذي يسبب لهم الخلود الأبدي في النار) (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ): يعني هذا الجزاء - وهي النار - هي جزاء أعداء الله (الذين كفروا بتوحيده وحاربوا رسوله ودَعْوته)، (لَهُمْ فِيهَا) أي في النار (دَارُ الْخُلْدِ) أي دار الخلود والشقاء الدائم (جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) فلم يؤمنوا

بها ولم يعملوا بما فيها، (وفي الآيات دليل على عِظَم جريمة مَن صَرَفَ الناس عن القرآن العظيم، أو مَنَعهم عن تدبره وهدايته بأيّ وسيلةٍ كانت).

- الآية 29: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وهُم في النار: (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) (ولَعَلّ المقصود هنا: إبليس مِن الجن، وقابيل بن آدم، إذ الأول قد دَلَّ الناس على كل شر، والثاني قد اقتدى به الناسُ في القتلِ ظلماً واعتداءً)، ويُحتمَل أيضاً أن يكون المقصود: كل مَن كانَ سبباً في إضلالهم من الصنفين: (الجن والإنس)، ثم أخبروا عن السبب الذي مِن أجْله طلبوا رؤية هؤلاء المُضِلّينَ فقالوا: (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) أي تحتنا في العذاب (لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أي في الدرك الأسفل من النار انتقاماً منهم بسبب إضلالهم لنا.

****

2. الربع الثاني من سورة فصلت

- الآية 30، والآية 31، والآية 32: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) (إذ هو الذي خلقنا وحده، فلذلك لن نعبد غيره)، (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على شريعة ربهم، أولئك (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) عند موتهم قائلينَ لهم (أَلَّا تَخَافُوا) من الموت وما بعده (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما تركتموه من أمور الدنيا (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)، وتقول لهم الملائكة: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ): يعني نحن أنصاركم وأعوانكم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إذ كنا نعينكم في جميع أموركم، ونحفظكم من الوقوع في المعاصي، وسوف نَرعَى لكم بإذن الله ما أهَمّكم من أمور الدنيا، (وَفِي الْآخِرَةِ) نستقبلكم عند خروجكم من قبوركم حتى تطمئنوا، ونكون معكم أيضاً في الجنة (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ) وتفرح به أعينكم، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ): أي يَتحقق لكم كل ما تتمنونه وتشتهونه، فمَهما طلبتم مِن شيءٍ وجدتموه بين أيديكم، وقد كان ذلك (نُزُلًا) أي ضيافةً وإنعامًا لكم (مِنْ غَفُورٍ) لذنوبكم، (رَحِيمٍ) بكم.

- الآية 33: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا) يعني: لا أحد أحسن قولاً (مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) أي دعا الناس إلى توحيده وطاعته (وَعَمِلَ صَالِحًا) (فبذلك جمع بين العلم والعمل بما يدعو إليه، فكانَ قدوةً لمن يدعوهم)، (وَقَالَ): (إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي المُنقادينَ لأمر الله وشَرْعه.

- الآية 34، والآية 35: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ): أي لا تستوي حسنة الذين استقاموا على شرع الله تعالى وأحسنوا إلى خلقه، مع سيئة الذين خالفوا أمْره، وأساؤوا إلى خلقه، (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يعني: ادفع بعفوك وحِلمك وإحسانك مَن أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) يعني: فبذلك يصير المُسِيء إليك – الذي بينك وبينه عداوة – كأنه قريبٌ لك مُشفِقٌ عليك، (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا): أي لا يُوفَّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صَبَّروا أنفسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ): أي لا يُوفَّق لها إلا ذو نصيب عظيم من السعادة في الدنيا والآخرة.

- الآية 36: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ): يعني إذا أصابك مِن الشيطان غضب، أو أحسستَ منه بوسوسة تدفعك إلى مُجازاة المُسِيء بالإساءة: (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) أي الجأ إلى اللهِ تعالى، مُعتَصِماً به بصِدق، مُتذللاً إليه أن يُحَصِّنَكَ مِن شره، قائلاً - بلسانك وبقلبك- : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، (إِنَّهُ) سبحانه (هُوَ السَّمِيعُ) لاستعاذتك به، (الْعَلِيمُ) بضَعفك وحاجتك إليه، القادرُ على دَفْع وسوسة الشيطان وأذاه.

- الآية 37، والآية 38: (وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على وحدانيته سبحانه وكمال قدرته: (اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) والمقصود: تعاقب هذه المخلوقات وراء بعضها بنظامٍ مُتقَن، إذ كل ذلك تحت تسخيره وقهره، ولا يتحركون إلا بأمره وإذنه، فلذلك (لَا تَسْجُدُوا) أيها الناس (لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ) فإنهما مخلوقان مُدَبَّران (وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يعني إن كنتم حقًّا مُنقادينَ لأمره، مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له، (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا) يعني: فإن استكبر مُشرِكو قومك أيها الرسول عن عبادة الله وحده، فإنّ الله غنيٌ عن عبادتهم (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) من الملائكة (يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ولا يستكبرون عن ذلك (وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) أي لا يَمَلُّونَ من العبادة، ولا يتعبون منها.

- الآية 39: (وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على وحدانية الله وكمال قدرته (أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) أي يابسة مَيِّتة لا نباتَ فيها، (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) أي دبَّت فيها الحياة، فتحركت وتشققت ليَخرج منها النبات، (وَرَبَتْ) أي ارتفعت وزادت لارتوائها بالماء (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا) بعد موتها (لَمُحْيِي الْمَوْتَى) من قبورهم (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

- الآية 40: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) وهم الذين يَميلون عن الحق، فيَكفرونَ بالقرآن، ويجادلون فيه بغير علم، ويحاولون تحريف معانيه لتوافق أهوائهم، أولئك (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) بل نحن مُطَّلِعونَ عليهم، قادرونَ على عقابهم، (واعلم أنّ الإلحاد في اللغة: هو المَيْل عن وَسط الشيء)، (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ): يعني أهذا المُلحد في آيات الله - الذي يُلقى في النار - خيرٌ أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله، مُستَحِقًا لثوابه؛ لإيمانه به وتصديقه بآياته؟!، (اعْمَلُوا) أيها المُلحدون (مَا شِئْتُمْ) (إِنَّهُ) سبحانه (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وسيجازيكم عليها أشد الجزاء.

- الآية 41، والآية 42: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) أي جَحَدوا بالقرآنِ (لَمَّا جَاءَهُمْ) مِن عند ربهم (أولئك هالكون ومُعذَّبون)، (وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) أي مَنيع غالب (لا يقدَر أحد على تغييره أو تبديله أو الإتيان بمثله)، فـ (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أي لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه، فهو محفوظ من أن يُنقَص منه، أو يزاد فيه، والسبب في عزة القرآن وحِفظه أنه (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ) في صُنعه وتدبير أمور عباده، (حَمِيدٍ) أي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكَثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

- الآية 43: (مَا يُقَالُ لَكَ) من التكذيب - أيها الرسول - (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) (إذاً فاصبر على ما يصيبك في سبيل الدعوة، كما صبر هؤلاء الرُسُل)، (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) لذنوب التائبين، (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) لمن أصرَّ على كُفره ومعاصيه.

- الآية 44: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا): يعني لو جعلنا هذا القرآن بلُغةٍ غير عربية - كما اقترح بعضُ المُشرِكين -: (لَقَالُوا) أي سيقول المُشرِكون حينئذٍ: (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ): يعني هلّا بُيِّنتْ آياته لنفهمه، (أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)؟ يعني كيف يكون هذا

القرآن أعجمي، ولسان الذي أُنزِلَ عليه عربي؟! (وكل هذا من أجل الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم)، ولمّا عَلِمَ سبحانه ذلك الإصرار منهم، أمَرَ رسوله أن يقول لهم: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ): يعني إنّ هذا القرآن فيه هدايةٌ للذين آمنوا من الضلال، وفيه شفاءٌ لِمَا في صدورهم من أمراض الشهوات والشُبُهات، ومن أمراض الجهل والكِبر والرياء، والحسد والغل وغير ذلك)، (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) بالقرآن (فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ) أي ثِقَلٌ مِن سماعه وتدبره، (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى): أي هو على قلوبهم عَمًى، فلا ترى قلوبهم أدلته ولا تهتدي بها (وهذا كله عقوبةٌ مِن اللهِ تعالى لهم، بسبب كَراهيتهم للحق، لأنه لا يوافق أهوائهم الفاسدة وشهواتهم الرخيصة)، (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ): يعني إنّ حال أولئك المُشرِكين كمن يُنادَى وهو في مكانٍ بعيد، لا يسمع داعيًا، ولا يُجيب مناديًا.

- الآية 45: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) - وهو التوراة - (فَاخْتُلِفَ فِيهِ): أي اختَلَفَ فيه قومه، فآمَنَ به جماعة وكَفَرَ به آخرون (كما فَعَلَ قومك بالقرآن أيها الرسول)، (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأجيل العذاب عن قومك: (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ): أي لَنَزَلَ بهم قضاؤهُ في الدنيا بإهلاك المُكَذِّبين ونجاة المؤمنين، (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) يعني: وإنّ الكفار لَفي شَكٍّ مِن هذا القرآن مُوقِع في الحيرة والقلق (وذلك بسبب فساد قلوبهم واتّباعهم لأهوائهم).

- الآية 46: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) لأنّ ثواب ذلك سيعود عليه وحده، (وَمَنْ أَسَاءَ) فعصى اللهَ ورسوله (فَعَلَيْهَا) يعني فإنما عقاب تلك الإساءة سيعود على نفسه، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ).

- الآية 47، والآية 48: (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ): يعني إلى الله وحده يُرْجَع علم قيام الساعة، فلا يعلم أحدٌ وقت قيامها غيره، (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) يعني: ما مِن ثمراتٍ تخرج من أوعيتها (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) أي بعِلمٍ من الله تعالى (لا يَخفى عليه شيءٌ من ذلك)، (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) يعني: ويوم ينادي الله المُشرِكين يوم القيامة - توبيخًا لهم وإظهارًا لكذبهم -: (أَيْنَ شُرَكَائِي) الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ (قَالُوا): (آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ): يعني أعلمناك اليوم - بعد أن تيَقنّا من الحقيقة - أنه ما منا مِن أحدٍ يشهد أنّ معك شريكًا، (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ): أي ذهب وغاب عنهم شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم (وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) يعني أيقنوا أنه لا هروب لهم ولا نجاة من عذاب الله.

- الآية 49، والآية 50: (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ): أي لا يَمَلُّ الإنسان من دعاء ربه طالبًا الخير الدنيوي، (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ): يعني إن أصابه ابتلاءٌ وشدة: (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ): يعني فهو يؤوس من رحمة الله، قنوط (أي ظاهر عليه اليأس) لسُوء ظنه بقدرة ربه، القادر على تفريج كربه، (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ) - كأنْ يُوَسِّعَ اللهُ عليه في رزقه بعد أن كانَ في ضِيقٍ من العَيش - (لَيَقُولَنَّ) عند ذلك: (هَذَا لِي): يعني قد أتاني هذا لأني مُستَحِقّ له، (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً): يعني لا أعتقد أن القيامة واقعة، (وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي) - على سبيل الفرض -: فـ (إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) يعني: فإنّ لي عنده الجنة، ثم قال تعالى: (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يوم القيامة (بِمَا عَمِلُوا) من السيئات، (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) أي مِن عذابٍ فظيع في نار جهنم.

- الآية 51: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ) بمالٍ وصحةٍ وغير ذلك: (أَعْرَضَ) عن شُكر ربه (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) أي تباعَدَ عن طاعته وتكَبَّرَ على الناس، (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) يعني: إذا أصابته شِدَّةٌ - مِن فقر أو مرض أو غير ذلك -: (فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) يعني:

فهو حينئذٍ ذو دعاءٍ كثير بأن يكشف الله عنه ضرَّه، (فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء) (إلا مَن عَصَمه اللهُ تعالى في الحالتين)، لأن الله سبحانه قد استثنى الصابرينَ الشاكرينَ بقوله – في سورة هود–: (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) أي على ما أصابهم من الضُرّ (احتسابًا للأجر عند اللهِ تعالى)، (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) شُكراً للهِ على نِعَمِه (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ).

– الآية 52: (قُلْ) أيها الرسول لهؤلاء المُكَذِّبين: (أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ) هذا القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ)، فأخبروني إذاً: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)؟ يعني مَن يكون أضَلّ منكم؛ وأنتم تعيشون في هذا الخِلاف البعيد عن الحق والصواب، بسبب كُفركم بالقرآن وعداوتكم للحق مِن بعد ما تبيَّن لكم؟! لا أحد أضَلّ منكم عن طريق الهدى، إذاً فلماذا لا ترجعون إلى رُشدكم، وتؤمنون بآيات ربكم، لتنجوا من ناره وتسعدوا بجنته؟

– الآية 53: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) (كالفتوحات الإسلامية وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وكذلك سنُريهم آياتنا في أقطار السماوات والأرض وما اشتملتا عليه من بديع آيات الله تعالى)، (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) (وما فيها مِن عجائب صُنع الخالق العظيم) (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ) من تلك الآيات (أَنَّهُ) أي القرآن الكريم هو (الْحَقُّ) من عند رب العالمين.

♦ فدَعُونا نتسائل بإنصاف: (مَن يَملِكُ أن يقول هذا الكلام بهذه القوة، ثم يُحَقِّقُ ما قالهُ إلا خالقُ الكون سبحانه وتعالى؟!)، إنّنا نقول – وَبِكُلّ وضوح – : (إنَّ الذي خَلَق الكون هو الذي قال القرآن)، فعلى سبيل المِثال: يقولُ اللهُ تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) (أي ننزعه منه)، يقول البروفيسور "يوشيودي كوزان" (مدير مَرصَد طُوكيو): (إنَّ هذا القرآن يَصِفُ الكونَ مِن أعلى نقطةٍ في الوجود، فكل شيء أمامه مكشوف، إنَّ الذي قال هذا القرآنَ يرى كل شيء في هذا الكون، فليس هناك شيءٌ قد خَفِيَ عليه)، وهذا مِصداقٌ لقوله تعالى: (قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)، وأما المُستَشرق الأدِيب "غوتة" – وكانَ أحد أعداء الإسلام – فقد قال في كتابه (الدِيوان الشرقي للشاعر الغربي): (القرآن ليس كلامَ البشر، فإذا أنْكَرْنا كَوْنَهُ مِن الله: فمَعناهُ أننا اعتبرنا محمداً هو الإله).

(أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يعني ألم يَكفك أيها الرسول شهادة ربك بصِدقك؟!، إذاً فلا تلتفت إلى تكذيبهم ولا تحزن على إعراضهم.

– الآية 54: (أَلَا إِنَّهُمْ) أي هؤلاء الكافرين (فِي مِرْيَةٍ) أي في شك (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) يوم القيامة، (أَلَا إِنَّهُ) سبحانه (بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) (علمًا وقدرة)، فلا يَخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، (وسوف يعاقبهم على تكذيبهم بالحق من بعد ما تبَيَّنَ لهم).

****